أبحاث اليرموك

سلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية

المجلد (16)　العدد (1)　(2000)

مجلة علمية فصلية محكمة
تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
بجامعة اليرموك

إربد - الأردن

website: http://ayhss.yu.edu.jo　e-mail: ayhss@yu.edu.jo

هاتف 7211111 2 00962　فرعي 2078　فاكس 7211121 2 00962

ISSN 1023-0165

دور الدول الإسلامية في الهند في رعاية وتطور التعليم في مدينة دلهي*

أحمد الجوارنه، *جامعة اليرموك*

1- مقدمة

إذا كان من ثمرات الفتوح الإسلامي إلى بلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا وإسبانيا وآسيا الوسطى والهند، بروز مدن عربية إسلامية جديدة، بفعل سياسة التغيير التي استحدثها العرب والمسلمون من خلال ابتكار العديد من الآليات والأساليب المفضية إلى نشر الدين والثقافة الإسلامية أو ما يعرف بسياسة تعريب أو أسلمة تلك المدن، فلقد أضحت مدن كثيرة مراكز ومجاميع لأنشطة متعددة الأغراض: سياسية، ثقافية، عسكرية وعقائدية. ونتيجة لمؤثرات الحضارة العربية وتمازجها مع ثقافات تلك المدن، فقد انعكس ذلك إلى تطور علمي ومعرفي كبير فيها، وللتدليل على ذلك، نذكر مدن: دمشق، بغداد، همذان، نيسابور، بخارى، سمرقند، القاهرة، قرطبة، وغيرها العديد من المدن التي زخرت بنشاطاتٍ معرفية ساهمت في تطور حركة العلوم الإنسانية -بعامة- ومدينة دلهي، من المدن التي أخذت تتأثر بهيمنة الإسلام وحركته التوسعية التي امتدت عبر قارات: آسيا وافريقيا وأجزاء من أوروبا الغربية، وإن كان فتح المسلمين لدلهي متأخراً، حيث فتحت في أواخر القرن السادس الهجري وتحديداً في سنة 588هـ/1192م، إلا أن ذلك لم يشكل عقبة أمام الفاتحين الجدد، ولموقع استراتيجي جديد، من النهوض تجاه تطوير المدينة بنظم إدارية وتشريعية جديدة، أفضت بفعل حرص الدول الإسلامية المتعاقبة، إلى جعل دلهي مركزاً علمياً وثقافياً لا يقل إبداعاً وعطاءً عن بقية المدن الإسلامية الأخرى، بل، لا نكون مبالغين إن قلنا إنها (أي دلهي) ربما فاقت مدناً كانت أكثر منها تطوراً في مضمار التعليم والثقافة، لا سيّما في الفترة الممتدة من القرن السادس الهجري وحتى القرن الحادي عشر الهجري. وهي المرحلة التي شهدت فيها مدن إسلامية كبيرة تراجعاً ملحوظاً في نشاطاتها العلمية والثقافية نتيجة ظروف سياسية. ممثلة بالصراعات والنزاعات الداخلية من جهة والاعتداءات الخارجية من جهة ثانية، في ذات الوقت برزت مدينة دلهي كمركز هام من مراكز نشر المعرفة العلمية بأنواعها في قلب شبه القارة الهندية، فظلت راعية لثقافة ومعارف الحضارة الإسلامية في الشرق قرون عديدة.

ومما نسعى للتعرف عليه في هذا البحث، أن نجد حلولاً لاستفسارات عديدة وهامة حول ما يأتي:

أولاً: ما هي طبيعة مدينة دلهي؟ وكيف نظرت إليها الدول الإسلامية كموقع استراتيجي هام؟

ثانياً: ما مدى الرعاية التي حظيت بها المدينة من قبل المسلمين، لا سيما في مضمار الأنشطة التعليمية، ونشر المعرفة بأنواعها؟

ثالثاً: هل كان من سياسة المسلمين الاهتمام ببناء مراكز خاصة للوصول إلى نشر الإسلام ونشر المعارف العامة؟

رابعاً: هل اختصت المدينة بولادة علماء ومفكرين ومبدعين جدد، ليكونوا إضافة حضارية لحضارة العرب المسلمين؟

1-1 التعريف بمدينة دلهي الإسلامية(1)

تعتبر مدينة دلهي من أهم المدن الواقعة في شبه القارة الهندية، ولذلك اهتمّت بها حضارات ودول قديمة وإسلامية وحديثة، حيث كانت عاصمة تلك الدول التي تعاقبت على حكم الهند لقرون عديدة، ومنذ فتحها على يد قطب الدين أيبك سنة 588هـ/1192م (الجزجاني، طبقات ناصري، جـ515/1) أضحت مدينة إسلامية وجعلها الفاتحون المسلمون عاصمة للدولة وحاضرة لبلاد الهند بأقاليمها ومدنها ودولها الإسلامية المختلفة، بدءاً بالدولة الغورية الأفغانية وانتهاءً بدولة المغول المسلمين.

تؤكد بعض المصادر التاريخية على أن مدينة دلهي من أقدم المدن الهندية، وكانت تعرف قبل دخول الإسلام إليها بمدينة دلي (Fanshawe, Delli, 1-2)، وأن أول من بناها هو الراجا انانجبال (Anangbal) أحد زعماء قبائل الراجبوت الكبار، (Syed Ahmed Khan, 75)، وثمة رواية أخرى ترجح بأن باني المدينة هو الراجا الهندوسي دهلو (Raja Dihlu) ملك مقاطعة كانوج، وأطلق عليها اسم دلي (Dilli) قبل غزوة الإسكندر المقدوني إلى بلاد الهند، (Firishta, 1/35). ثم في سنة 1170م يوم اعتلى الملك برثفي راج(2) (Prithvi Raj) قام بتوسعة المدينة، وتسمت بـ: كيلا راي بيثورا (Qila Ray Pithora) (Abdul Al-Hai, 27).

1-2: مرت مدينة دلهي بمراحل عديدة من التطور والعمران، كان أبرزها مرحلة الحكم الإسلامي، الذي وجه عنايته ورعايته الفائقتين من أجل جعل هذه المدينة ذات خصائص إسلامية مميزة، وقد تجلت تلك الرعاية تجاه دلهي من خلال السياسات المختلفة التي جاءت مع مجيء كل دولة إسلامية، وقد انعكست تلك السياسات على استحداث وتطوير بنية المدينة، حتى أصبحت مجموعة من المدن في مدينة واحدة، فجاءت على النحو التالي:

1. قبة الإسلام، وقد سماها بذلك فاتحها الأول قطب الدين أيبك وبأمر من السلطان الغوري الأفغاني شهاب الدين، أطلق هذه التسمية على مدينة دلهي بمناسبة إحياء ذكرى فتح المدينة سنة 588هـ/1192م (Qureshi, 178).
2. "غياث بور"، من الأسماء التي أطلقت على مدينة دلهي 679هـ/1280م، وذلك بعدما تولى السلطان غياث الدين بلبن (Balban) عرش دلهي سنة 665هـ/1266م، (Abdul Hai, 27 / Firishta, 1/324).

3. "معز آباد"، بناها إضافة إلى موقع دلهي القديمة، السلطان جلال الدين فيروز الخلجي الأفغاني وذلك سنة 689هـ/1290م، ثم قام بتوسعتها السلطان علاء الدين خلجي الأفغاني (696هـ-716هـ/1296-1316م) في موقع على بعد 5كم جنوب غرب دلهي القديمة، وذلك سنة 703هـ/1303م، فكانت مليئة بالقلاع والحصون، وبنى فيها المقر الرئاسي (السلطاني) عرف باسم القصر الأخضر (Abdul Hai, 83, 84, 87).

4. "تغلق آباد"، أضيفت إلى دلهي القديمة على بعد 8كم في موقع دلهي وبناها زعيم الراجبوت الهندوسي اندبال (Anandpal)، وذلك في عهد السلطان غياث الدين تغلق سنة 721هـ/1321م. (Athur us Sanadid, 87).

5. "جهان باناب (JahanPanab)"، بنيت على مقربة من دلهي وأصبحت جزءاً منها، وأصبح اسماً يطغى على مدينة دلهي حتى عرفت المدينة به، قام بذلك السلطان محمد بن تغلق سنة 727هـ/1326م، (Athur us Sanadid, 87).

6. "فيروز آباد"، بناها السلطان فيروز شاه تغلق سنة 755هـ/1354م، وهي المدينة السادسة التي شيدها الحكم الإسلامي في ضواحي دلهي القديمة، تقع شمال دلهي وعلى ضفة نهر جُمنا (Jumna) الغربية، (Khafi Khan, 1/363).

7. "شيركاره، (Sher Garah)"، بناها السلطان الأفغاني شيرشاه سوري في العام (948هـ/1541م)، (Abdul Hai, 29).

8. "شاهجهان آباد (Shah Jahan Abad)"، بناها الإمبراطور المغولي شاهجهان، ما بين الأعوام (1048هـ-1069هـ) (1638م-1658م)، وهي على بعد 3كم شمال مدينة فيروزآباد الواقعة جميعها ضمن حدود مدينة دلهي، واحتلت المدينة الجديدة معظم المواقع الشمالية لمدينة دلهي، بنى فيها القلعة الحمراء الضخمة (Red Fort)، وبنى فيها أكبر وأضخم مسجد في شبه القارة الهندية عرف باسم "جامع مسجد" (Cambridge History of India, Delhi, 1965 III/578).

3-1: كان للتنوع الثقافي والمعرفي والعرقي الذي مرّ على حكم مدينة دلهي، سببٌ مباشرٌ لتطوّر المدينة وتوسعها على مدار أزمنة متعاقبة، وعندما نمعن بمسميات المدينة المختلفة من عصر إلى عصر، فإن ذلك يعكس أهمية المدينة وموقعها الاستراتيجي المتميز في وسط جنوب آسيا (شبه القارة الهندية)، وهو كذلك مؤشر على التنافس بين الدول الإسلامية على وجه الخصوص، نحو إثبات دور كل مرحلة سياسية وما حملته من طموح سياسي وثقافي وعقائدي، لإبراز صورة المدينة بأرقى حالاتها، لا سيما فيما يتعلق بالجوانب الثقافية والتعليمية، إذ مع تعدد مسميات المدينة، فقد انعكس ذلك على أسماء العلماء الذين عاشوا أو درّسوا فيها، فأطلقت الألقاب التالية عليهم: كالدهلوي، والفيروزآبادي، والغياثبوري، والمعزآبادي، والشاهجان آبادي، والجهان يانابي، وهكذا. ولأن دلهي ظلت حاضرة الدول الإسلامية ومقر الحكم والسيادة فنلاحظ أنها أخذت اسم دولة آباد، والذي ينتسب إليها يسمّى بالدولة آبادي.

2- رعاية الدول الإسلامية للحركة العلمية في دلهي

2-1 حققت الأسرة الغزنوية بقيادة سلطانها محمود بن سبكستكين الغزنوي (388هـ/998م-421هـ/1030م) انتصارات واسعة في أعماق الهند، فقد نجح في فتح معظم أقاليم شبه القارة الهندية الشمالية وأرسى بها دعائم الدعوة الإسلامية، ولأن مدينة دلهي لم تفتح بعد في هذه المرحلة التاريخية، فلقد استقطبت مدينة لاهور اهتمام الدولة الغزنوية حين تحولت إلى مركز علمي نشط، أخذ يغذي المنطقة بشتى المعارف والعلوم، وكان أبرزها العلوم الإسلامية ذات الصلة بعلوم القرآن والحديث النبوي واللغة العربية، وعلى الرغم من عدم تمكن الغزنويين من فتح دلهي، إلا أنهم تسببوا في ترويض طريقها أمام ورثة حكمهم في الهند، ألا وهم الأسرة الأفغانية الغورية، الذين فتحوا دلهي بأمر من السلطان شهاب الدين الغوري سنة 588هـ، (الجوزجاني، جـ1، ص515، 516) وقد أطلق عليها القائد قطب الدين أيبك "قبة الإسلام" ومن يومها أضحت دلهي مدينة إسلامية خالصة، بحيث أبدى أيبك حرصاً عظيماً على جعل المدينة مركزاً يعج حماساً تجاه نشر الإسلام والعلوم الدينية في المنطقة، ووصولاً إلى هذا الهدف فقد عمل على إنشاء العديد من المساجد، أشهرها مسجد "قبة الإسلام" وقطب منار (Qureshi, P. 178)، إلا أن المراكز التعليمية كالكتاتيب والمدارس والمعاهد لم تظهر بشكل يؤدي بالحركة التعليمية إلى التطور والازدهار.

2-2 الأسرة الغورية التي فتحت دلهي وجعلتها حاضرة الدولة الإسلامية حققت مكاسب جمة وأثرت في مجالات متعددة مثل: العقائدي والثقافي والسياسي على دلهي وسكانها، وإن لم تتطور الحركة العلمية، والتعليمية في زمانهم، إلا أنهم أرسوا قواعد الحكم السياسي للإسلام، مما سهل ويسر رعاية العلوم أمام ورثتهم في حكم الهند، ألا وهم أسرة المماليك الأتراك (602هـ/1206م-686هـ/1287م) الذين حملوا أعباء مهام نهضة المدينة علمياً وتعليمياً، كالسلطان شمس الدين التتمش (607هـ/1210م-633هـ/1235م) الذي بادر إلى بناء مدرسة كبيرة في مدينة دلهي، ثم توسعت في عهد السلطان فيروز شاه (633هـ/1235م-634هـ/1236م) (Elliot and Dowson, III, 383) وفي عصره طفق بلاط السلطنة في دلهي يستقطب الكثير من العلماء، لا سيما أولئك الذين بدأوا يتعرضون للقتل والاضطهاد على يد المغول الذين اجتاحوا بلاد الدولة الخوارزمية (الجوزجاني، جـ1، ص516) وقد ساهم هؤلاء الذين هاجروا من آسيا الوسطى وإيران وأفغانستان في تطوير الحركة العلمية في بلاد الهند وحاضرتها مدينة دلهي، إذ جلبوا معهم ثقافة جديدة ومعارف مبتكرة، سواء أكانت دينية أم طبيعية، كما يعود لهم فضل نشاط الحركة العلمية في سلطنة دلهي.

وقد برز أعلام كبار في عهد السلطانين التتمش وفيروزشاه، كان منهم الأديب والشاعر مالك تاج الدين رضا، والمؤرخ الشهير العوفي الذي ألف للسلطان كتاب "جوامع الحكايات" (Firishta, I/117).

توجت رعاية سلطنة دلهي المملوكية لحركة العلوم والتعليم في عصر السلطان غياث الدين بلبن (664هـ/1265م-686هـ/1287م)، حيث تمّ استيعاب كافة النازحين المشردين من علماء المسلمين من آسيا الوسطى وإيران وأفغانستان، الذين اضطروا للهجرة إلى الهند هرباً

من المغول، وخوفا على أنفسهم من وحشيتهم، وقد كان العديد من هؤلاء المهاجرين يحملون كفاءات علمية عالية في حقول علمية متنوعة، فكان منهم: الكتاب والشعراء والأدباء، والفنيون والمعماريون والفقهاء وغيرهم (Firishta, 1/131-132). ويعتبر بلبن بحق مؤسس الحركة العلمية في دلهي، إذ بدأ يستثمر وجود الكم الكبير من العلماء الذي حشده في عاصمة الدولة، في بناء المدارس والمساجد ودور التعليم بأنواعها المختلفة، ويؤكد المؤرخ باراني على أن بلبن وسعيا وراء النهوض بدولته علميا، قد وضع برنامجا أسبوعيا لزيارة العلماء في مساجدهم ومدارسهم ومنازلهم، وتقديم كافة ضروب الدعم المادي والمعنوي لهم، وتقديرا من جانبه لعلمهم وجهدهم في نشر معارف العلوم (Barani, 46,47 / Qureshi, 179).

ثم أعطى المؤرخ باراني نموذجا لأسماء العديد من العلماء والفقهاء الذين درسوا في مدارس دلهي، في مختلف الحقول المعرفية، وأكد أن كل فروع المعرفة في العالم يومذاك كانت تدرس في مدارس حاضرة سلطنة دلهي، فكان منهم: الفلاسفة، والأطباء، والفلكيون والرياضيون، والمؤرخون، وعلماء اللاهوت والدين والموسيقى وغيرهم (Barani, 110-112).

3-2 أما الأسرة الأفغانية الخلجية، (689هـ/1290م-720هـ/1320م)، والتي أسسها جلال الدين خلجي، من الأسر التي أولت رعاية العلوم والمعارف عناية فائقة، بل وسخرت سلطاتها للتبشير بالعلم والثقافة في أرجاء متعددة من الهند، متخذين من دلهي منطلقا علميا ومعرفيا، حتى أن السلطان جلال الدين خلجي كان يتمتع بثقافة علمية واسعة، فكتب العديد من الرسائل والمؤلفات، وكان يهوى كتابة الشعر، كما كان الروائي والفيلسوف الشهير ملك سعد الدين خسرو، عالم المنطق والتاريخ، ومؤلف كتاب "تاج الخطيب" (Firishta, 1/156)، من بطانته الخاصة. لم تتوقف سياسة الخلجيين نحو دعم وتطوير الحركة التعليمية في دلهي وبقية أنحاء الهند بعد وفاة جلال الدين، بل حافظوا على هذه السياسة في عهد معظم سلاطينهم، وظلت مؤسسات التعليم تقوم بتدريس كافة فروع المعرفة، ووفقا لرواية المؤرخ باراني، فهناك ست وأربعون أستاذا في تخصصات علمية مختلفة، كلهم قد جاءوا من بلاد ما وراء النهر وتركستان وبلاد فارس ومصر. (Barani, 352-368). بل كان السلطان فيروزشاه الخلجي الأفغاني أحد أبرز سلاطين هذه الأسرة رعاية للعلم. فبالإضافة إلى إعادة إعمار وبناء المدارس القديمة في مدينة دلهي، فقد قام ببناء مدارس جديدة مزدهرة، ووضع لهذه المؤسسات التعليمية ضوابط وقوانين ساهمت في ازدهارها وتطورها، من ذلك تطبيق نظام الوقف على المدارس لتحقيق اكتفاء في مجال الإنفاق المالي على المدارس (Qureshi, 182) كما أوقف أراضي خاصة بالمدرسين والتلاميذ، ومنح الأموال لهم (Barani, 460)، ثم تميز عصر فيروزشاه بعلوم الترجمة وتطويرها، حيث أمر بترجمة مجموعة من المؤلفات السنسكريتية إلى اللغة الفارسية، أبرزها الكتاب الشهير باسم "كتاب فيروز شاهي" في الطب والأدوية (Badauni, 1/429). وقد ظهرت اهتمامات السلطان فيروزشاه بعلوم الطب والصيدلة والفلك، وصنف كتابا في الطب أسماه "طبي فيروزشاهي"، ثم دفعه اهتمامه بعلوم الفلك إلى بناء مرصد فلكي في مدينة دلهي (Qureshi, 183) ولقد تعرضت مدينة دلهي لاجتياح مغولي بقيادة تيمورلنك ونتج عن هذا الاجتياح هجرات كبيرة للعلماء ولطلبة العلم إلى مناطق

مختلفة من أقاليم الهند، وبقيت هذه الحال مضطربة حتى أعادت الأسرة اللودية الأفغانية بناء مدينة دلهي من جديد (Qureshi, 183).

4-2 ودولة آل تغلق (720هـ/1320م-815هـ/1412م) لا سيما سلطانها غياث الدين تغلق، من الأسر الإسلامية التي حكمت مدينة دلهي وأبدت رغبة جامحة واهتماماً منقطع النظير بعلماء عصرهم، بل حصل العلماء وطلبة العلم على امتيازات مادية ومعنوية فاقت امتيازات من سبقهم من العلماء، حتى وصف المؤرخ الهندي المسلم فرشته السلطان غياث الدين بأنه كان أحد علماء عصره، وإليه يرجع الفضل في تطور المعارف والعلوم الفارسية في شبه القارة الهندية، كما برز في هذا العصر مؤرخون ورياضيون وفلكيون وفلاسفة كبار (Firishta, 1/237)، وأشار الرحالة ابن بطوطة إلى مجموعة كبيرة من العلماء في بلاط الدولة التغلقية، ذكر منهم شهاب الدين الكازروني وناصر الدين الترمذي وغيرهم (ابن بطوطة، 473-476).

5-2 من الدول الإسلامية التي أرست حكمها في مدينة دلهي وكان لها دورٌ بارزٌ في رعاية الحركة التعليمية فيها، هي الأسرة اللودية الأفغانية (855هـ/1451م-930هـ/1526م)، ويعتبر السلطان بهلول لودي وأحفاده من بعده بحق من محدثي عصر نهضة علمية جديدة في مدينة دلهي، حتى كان لسياسة السلطان اسكندر لودي العلمية صدى واسعٌ في أرجاء الهند والبلاد الإسلامية المحيطة، وقد تأثر بهذه التوجهات الإصلاحية في مجال التعليم معظم نبلاء وقادة الدولة بالإضافة إلى عامة الناس، مما بعث في الوسط الرسمي والشعبي روح النهضة والتطور في مجال التعليم، حتى المنتسبين إلى طائفة الهندوس وجدوا أمامهم فرصاً كبيرة للانخراط في مدارس المسلمين في دلهي، نتيجة لتوجهات ورغبات الدولة في نشر التعليم بين الناس مسلمين وغير مسلمين، (Qureshi, 183) وغدا العديد من رجالات الدين الهندوس (البراهمة) أساتذة ومدرسين في معاهد ومدارس المسلمين في مدينة دلهي (Firishta, I/344)، كما تطورت علوم الترجمة تطوراً انعكس على ازدهار المعرفة والثقافة بشكلها العام، ونقلت العديد من الكتب الهندية المؤلفة باللغة السنكسريتية إلى اللغة الفارسية، كان منها كتب "الركفيدا" في الطب، وسميت باسم السلطان "طبي سكندري" أمر بترجمته سكندر لودي سنة 918هـ/1512م على يد بهواخان (Bhoa Khan)، (Badaun, 1/324, Abdul Halim, Lodis, 123-125).

6-2 حافظت مدينة دلهي على مكانتها عند المسلمين، باهتمام الملوك المغول المسلمين (932هـ/1526م-1119هـ/1707م)، إذ توجهت سياسة الدولة نحو نهضة المدينة علمياً، وقد بلغت ذروة التطور في عصر الملك جلال الدين أكبر (963هـ/1556م-1014هـ/1605م) فبرغم أمية الملك، إلا أنه سعى إلى إبراز الجانب التعليمي وجعله ظاهرة تستوجب التقدير، فإلى جانب اهتمامه ببناء المدارس والمعاهد العلمية، فقد نجح في سياسة التوفيق بين المسلمين والهندوس وغيرهما، وجعلهم يجلسون معاً على مقاعد التعليم دون تميز، يتعلمون صنوف شتى من المعارف، كالفلسفة والطب والصيدلة وعلوم اللاهوت، والتاريخ، والحساب، والفلك وعلوم الهندسة المعمارية، والمنطق والفلسفة وعلوم الزراعة، والعلوم الإسلامية المختلفة، (Ain-i-Akbari, II, 25) وعموماً فإن معظم أباطرة المغول، كجهانكير وشاهجهان وأورانك

زيب اهتموا جميعا بإقامة منشآت التعليم كالمدارس والمعاهد في دلهي وبقية المدن الهندية الأخرى، إلا أن نصيب دلهي كان يفوق غيرها من المدن من حيث المؤسسات التعليمية وعناية الدولة بها، ولذلك نجدهم يوفرون موارد مالية وأوقاف تكفي لتغطية نفقات تلك المعاهد والمدارس، على أن المدارس الدينية كانت في الأغلب تقوم بمهامها ورسالتها التعليمية في المساجد ومنازل العلماء والقضاة والفقهاء، حيث انتشرت هذه الظاهرة ليس فقط داخل مدينة دلهي، بل وفي معظم المدن والقرى الإقليمية الخاضعة لسلطة المغول المسلمين، (Jaffar, 139) ومما يعد من مفاخر العهد المغولي تطوير صناعة الورق لتيسير حركة التأليف والتدوين للعلماء وطلبة العلم، فانتشرت مصانع الورق في أنحاء متعددة من بلاد الهند، كان أكبر تلك المصانع في مدينة سيالكوت، الأمر الذي ساهم في ازدهار الحركة العلمية في جنوب آسيا (شبه القارة الهندية) (Jaffar, Education in Muslim India, 140). حتى المرأة الملكية في بلاط المغول أبدت رعاية واهتماما كبيرين تجاه العلوم والثقافة، وسعين إلى تطويرها من خلال تأسيس معاهد علمية خاصة، وتوفير مرتبات مالية مجزية لتشجيع عملية التعليم، فثمة زوجة الإمبراطور همايون "بيكه بيكم" التي أنشأت معهدا على مقربة من ضريح زوجها (Akbar nama, II/970) كذلك مربية الملك أكبر الشهيرة "بمهام انكه" التي انفقت أموالا طائلة على التعليم وقامت بتأسيس مدرسة في مدينة دلهي، وألحق بها مسجد سمي "بخير المنازل" (Akbar nama, II, 990).

3- المؤسسات التعليمية

1-3 ازدهرت مدينة دلهي في عهد المسلمين، وكثرت فيها المدارس لنشر العلوم والثقافة الإسلامية وما يتصل بها من علوم العربية، وليس ثمة اختلاف في سياسة التعليم التي انتشرت في دلهي أيام المسلمين عن غيرها من السياسات التعليمية في البلدان العربية والإسلامية الأخرى. فمن خلال معالجتنا لمصادر الحضارة العربية الإسلامية، يتضح أن هناك وحدة مشتركة تسيطر على التعليم في أنحاء العالم الإسلامي، لا سيما ذات الصلة بالعلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة، وكذلك بناء الكتاتيب والمساجد والمدارس والمكتبات بهدف تطوير التعليم وإشاعة الوعي الثقافي بين الناس، وإن وجد اختلاف بين التعليم في دلهي وغيرها فلا يتعدى مضمار اللغة فقط، إذ أن اللغات التي انتشرت في دلهي خصوصا والهند عموما هي اللغة الفارسية واللغة العربية واللغة الأردية وأحيانا لغة الهند الأصلية (السنسكريتية)، وذلك بحكم الموقع الجغرافي والتباين العرقي اللذين فرضا نفسيهما على دول الإسلام في الهند، إلى جانب التعددية الثقافية واللغوية والدينية، مما لم يتوفر بشكله هذا في أي منطقة عربية وإسلامية أخرى، ويلاحظ أن التعليم في دلهي انقسم إلى نوعين: تعليم خاص، وتعليم عام، في حين كان النظامان يخضعان لسلسلة متدرجة من التعليم تبدأ من الصفوف الأولى لتنتهي إلى التعليم العلمي العالي.

فالتعليم الخاص، لم يتعد بعض زوايا المساجد ودور الملوك والسلاطين والعلماء والفقهاء، إذ لم نعثر على مدارس خاصة ومستقلة تقوم بعمليات التدريس، بل وجدنا في المصادر نماذج متعددة من هذا النوع من التعليم، انحصر -في الغالب- في تدريس وتعليم

أبناء الملوك والسلاطين، فالسلطان المملوكي غياث الدين بلبن جعل من الشيخ فصيح الدين الدهلوي، وهو أحد الفقهاء الكبار، معلماً لأبنائه، ويشرف على تدريسهم علوم القرآن والسنة واللغتين الفارسية والعربية (نزهة الخواطر، 107/2) وكذلك الملك المغولي جلال الدين أكبر الذي خصص لتعليم أبنائه أحد العلماء الكبار المبدعين في العلوم الأدبية، وهو الشيخ أبو الخير بن المبارك الناكوري الدهلوي (نزهة الخواطر، 18/5).

أما الملك شاهجهان فقد عين الشيخ علي بن محمد المقيم الخطاط معلماً ومربياً لابنه عالمكير، (نزهة، 284/5) ومنه تعلم عالمكير أنواع الخطوط العربية، كالشكستة، والنسخ، والنسختعليق، والكوفي، والفارسي، كما جعل عالمكير الشيخ القاضي حيدر بن أبي حيدر الكشميري، أحد كبار الفقهاء، معلماً لحفيده محمد عظيم، فاشتغل بتعليمه زماناً طويلاً (نزهة 77/62)، وعين الملك شاهجان الشيخ محمد هاشم الكيلاني معلماً لولده عالمكير (نزهة، 92/6).

2-3 وفي مجال الحديث عن التعليم العام فإنه سيطر على مسار الحركة التعليمية في مدينة دلهي أيام حكم المسلمين، وكان بمقدور طلبة العلم تحصيل علومهم في أماكن عامة مخصصة لهذا الغرض، فكان المسجد، والمدرسة والخانقاة، ونستطيع أن نقسم هذه المدارس إلى ثلاثة أقسام،

أولاً: المدرسة الدينية، والتي كانت تهدف إلى نشر العلوم الدينية، كالقرآن والسنة وعلوم الفقه وعلوم اللغة العربية.

ثانياً: المدرسة الهندية-الفارسية (Indo-Persian)، والتي ساهمت في نشر العلوم الهندسية، لا سيما العمارة والزخرفة والنقش والمنمنمات والرسم والموسيقى والتصميم، وقد طور هذه المدرسة وزير الدولة المغولية العلامة أبو الفضل الناكوري، حيث حظيت هذه المدرسة برعاية فائقة من قبل البلاط المغولي بشكل مباشر (Saksena, 249).

ثالثاً: المدرسة الفارسية البحتة (Purely-Persian) والتي عنيت بتعليم الأدب والمنطق والفلسفة، واشتهرت أيضاً بعلمي النقل والترجمة، وذلك بدعم النبلاء والقادة الكبار، الذين يمتد عرقهم إلى أصول فارسية خالصة، أو الذين ينحدرون من أصول فارسية، وبرز في هذا النوع من المدارس علماء كثر، كان منهم العلامة أمين القزويني والعلامة جلال الدين طبطبائي (Saksena, 250).

3-3 أما مراكز التعليم في مدينة دلهي فكانت المساجد والمدارس والخانقاة، ويشير المؤرخ قريشي إلى أن سلطنة دلهي الإسلامية كانت تمتلك أفضل المراكز التعليمية المعاصرة في كافة حقول المعرفة العلمية، ننبهر عندما نقرأ بعض الروايات التي تتحدث عن وجود مئات المدارس والمعاهد العلمية، إلى جانب المساجد والخانقاة، والتي تنتشر جميعها في دلهي، وجاء أيضاً أن في دلهي ما يقرب من ألفي مسجد وخانقاة، والتي ألحق بها العديد من المدارس التعليمية (Qureshi, 1986) كما عرفت الإمبراطورية المغولية بدولة الثقافة وراعية المعرفة والتعليم وفي عصرهم انتشرت آلاف المدارس في كل مدينة وقرية من أرض الهند، لا

سيما المدارس الدهلوية، على أن معظم هذه المدارس كانت تشيد بأموال المواطنين المهتمين بالتعليم. بالإضافة إلى ما تقدمه الدولة من دعم إنشاء وبناء المدارس (Nijjar, 159-160).

وهنا لا بد من التعرف على أشهر المدارس والمساجد التي اضطلعت بدور هام في نشر الثقافة والعلوم الدينية والطبيعية.

أولاً: المدرسة المُعزية

من أعظم المدارس الإسلامية التي بنيت في مدينة دلهي، كان إنشاؤها سنة 635هـ/1237م، وذلك بأمر من السلطانة المملوكية رضية بنت التتمش (طبقات ناصري، 98/1) وكان يدرس فيها العلامة الشيخ منهاج الدين علي بن اسحق البخاري الدهلوي (نزهة الخواطر، 182/1).

ثانياً: المدرسة الناصرية

يرجح أن باني هذه المدرسة هو السلطان شمس الدين التتمش، وقد عين العلامة المؤرخ أبا عثمان الجوزجاني مديراً وقيماً لهذه المدرسة، وذلك بأمر من رضية، ثم تولى أوقاف المدرسة وذلك سنة 623هـ/1226م، (الندوي، 169، نزهة، 175/1).

ثالثاً: مدرسة فيروزشاه

أسست هذه المدرسة للتحصيل العلمي العالي، وأقيمت على الحوض الخاص بقصر السلطان فيروزشاه، ويروي المؤرخ ضياء الدين بارني في تاريخه، أن معظم العلماء في عصر السلطان المذكور تعاقبوا على التدريس في هذه المدرسة، واشتهر منهم الأستاذان: الشيخ جلال الدين الرومي، ومولانا الشيخ يوسف جمال الحسيني (Ziauddin Barni, 565) وقد درس جلال الدين الرومي علوم الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم النافعة الأخرى، بينما كان بناء المدرسة طويل العماد، ذا ساحة كبيرة مليئة بالقباب والصحون (نزهة، 20/2، 109).

رابعاً: مدرسة نواب روشن الدولة

لا يعرف متى بنيت هذه المدرسة في دلهي، لكنها كانت من مشاهير المدارس القائمة على تعليم العلوم الدينية، درس فيها علماء كثر، منهم العلامة الشيخ محمد عطيف البدايوني المتوفى سنة (1140هـ/1727م) (نزهة، 332/6-333).

خامساً: مدرسة تولا نبي (Tula nabbi)

أسست بأمر من السلطان اسكندر لودي الأفغاني، وخصصها للشيخ عبد الله تولا نبي، والذي اشتهرت المدرسة باسمه، ويعد من كبار العلماء والأدباء المشهورين في الهند، ثم عينه مديراً للمدرسة ومنحه السلطان لقب ملك العلماء، حيث كان منهج التدريس

فيها قويا، ودرس فيها المنطق والفلسفة، وكان كتاب شرح الشمسية للرازي، مقررا لدراسة المنطق، (الندوي / 170).

سادسا: مدرسة الشيخ سماء الدين

بناها الشيخ سماء الدين المتوفى سنة 901هـ/1495م وذلك في مدينة دلهي، وقد احتوت على أعداد كبيرة من طلبة العلم، درس بها الشيخ عبد الغفور والشيخ المفتي جمال الدين الدهلوي (الندوي، 170).

سابعا: مدرسة الشيخ فريد

بنى المدرسة الشيخ علاء الدين الدهلوي تذكارا للشيخ صدقي فريد الدين جانق (Gang)، وذلك في عصر الإمبراطور المغولي همايون سنة 941هـ/1534م، (الندوي، 170).

ثامنا: مدرسة مهام بيكم

أنشأت هذه المدرسة الأميرة مهام بيكم مربية ومرضعة الملك المغولي جلال الدين أكبر وذلك سنة 969هـ/1561م، ثم بنت بجوار المدرسة مسجدا كبيرا (الندوي، 171).

تاسعا: مدرسة الشيخ عبد الحق المحدث

أسس هذه المدرسة العليا الإمبراطور المغولي جهانكيرشاه، وذلك تكريما للشيخ الداعية عبد الحق بن سيف الدين، واهتمت هذه المدرسة في نشر الدعوة الإسلامية في دلهي وأنحاء الهند، وساهمت المدرسة في ازدهار وتطور العلوم الإسلامية بأنواعها في الهند، وساهمت أيضا في نشر التعاليم الإسلامية في مدن وقرى هندية عديدة، وقام على خدمتها علماء وفقهاء ذلك العصر، (الندوي، 171).

عاشرا: مدرسة شاهجهان (أو دار البقاء)

أنشأها ملك المغول شاهجهان ما بين سنة 1059هـ/1649م وسنة 1069هـ/1658م على مقربة من المسجد الجامع في دلهي، وعين العلامة الشيخ مولانا يعقوب البيانوي بمرسوم ملكي، مديرا لهذه المدرسة، وقد أعيد بناء المدرسة بعدما تعرضت للخراب والدمار سنة 1258هـ/1842م، ثم دمرت تماما في حرب الاستقلال الهندية ضد الاستعمار البريطاني سنة 1274هـ/1857م. (الندوي، 171).

حادي عشر: مدرسة فاتح بور بيكم

بنت هذه المدرسة الملكة المغولية نواب فاتحبوري بيكم إحدى زوجات الملك شاهجهان، وذلك إلى جانب مسجدها الشهير بـ "فاتحبوري مسجد". وذلك سنة 1059هـ/1649م، حيث بنيت المدرسة من الرخام والقرميد الأحمر، مما أضفى عليها

شكلا معماريا وهندسيا رائعا، أما المسجد فقد احتوى على غرف وقاعات صفية للمدرسين والتلاميذ، (الندوي، 171).

ثاني عشر: مدرسة أكبر آبادي بيكم

بنتها الملكة أكبر آبادي بيكم إحدى زوجات الملك المغولي شاهجهان في دلهي سنة (1040هـ/1630م)، وظلت هذه المدرسة تؤدي دورا هاما في تعليم ونشر العلوم الإسلامية حتى أواخر العصر المغولي، وقد تعرضت للخراب والدمار على يد الإنجليز في حرب الاستقلال سنة (1274هـ/1857م). (Abdul Hai, 172).

ثالث عشر: مدرسة غازي الدين خان

وهي من أكبر مدارس المسلمين في الهند، بناها غازي الدين خان رئيس وزراء الإمبراطور المغولي أحمد شاه بهادر، ورئيس وزراء الإمبراطور المغولي عالمكير الثاني، وذلك في سنة 1165هـ/1751م، حيث بنيت خارج مدينة دلهي، وصمم للمدرسة ثلاث شرفات من الجهات: الشمالية والجنوبية والشرقية، وبنى من الجهة الغربية مسجدا فخما، وقد حول الإنجليز المدرسة عن طريق شركة الهند الشرقية إلى مدرسة لتعليم اللغة والثقافة الإنجليزية، (Abdul Hai, 172, Fanshawe, 64-65). وقد درس بها الشيخ المحدث مولانا فخر الدين الدهلوي صاحب المؤلفات الكثيرة في علوم الحديث والفقه، وله شرح على صحيح مسلم بالفارسية (نزهة، 219/6).

رابع عشر: مدرسة شاه ولي الله الدهلوي

بناها مولانا الشيخ شاه ولي الله الدهلوي المحدث الشهير في شبه القارة الهندية، وتعتبر من أهم المؤسسات التعليمية التي ظهرت في بلاد الهند، من حيث تطور علومها وأساليب التدريس فيها، وأصبحت من المراكز الهامة لتعليم ونشر العلوم الإسلامية، في الهند قاطبة، (Abdul Hai, 173).

خامس عشر: مدرسة مير جملة (Mir Jumla)

تم إنشاء المدرسة على يد الأمير مير جملة أحد نبلاء وقادة الدولة المغولية في عصر عالمكير الأول، وقد تعرضت المدرسة مع تقادم الزمن، للهدم والدمار (Abdul Hai, 172).

سادس عشر: مدرسة عناية الله خان

إحدى المدارس الإسلامية الهامة في مدينة دلهي، تعرضت للهدم ولا يعرف لها أثر في هذا الوقت، وقدمت المدرسة خدمة رائعة في نشر المعارف الدينية الإسلامية. (Abdul Hai, 172).

سابع عشر: مدرسة والدة غيض الدين خان

بنتها والدة غيض الدين خان في دلهي، ثم تغير اسمها إلى اسم الشيخ مولانا فخر الدين الدهلوي باسم المدرسة الفخرية، حيث كان من كبار علماء دلهي والقائمين على التعليم والتدريس فيها (Abdul Hai, 173).

ثامن عشر: مدرسة داريبا بازار (Dariba Bazar)

أنشأت هذه المدرسة على مقربة من سوق داريبا في دلهي، والى جانب مسجد سنهيري (Sunehri Musjid)، حيث قام على بنائها السيدة نواب روشن الدولة، وذلك سنة 1134هـ/1721م، في عهد الإمبراطور المغولي محمد شاه، وبقيت المدرسة تؤدي دورها التعليمي والثقافي حتى سقوط دولة المغول، حيث حولها الإنجليز إلى مخفر للشرطة (Abdul Hai, 173).

تاسع عشر: مدرسة إرادة مند خان (Iradat Mand Khan)

أسست هذه المدرسة في دلهي سنة 1135هـ/1722م في عهد الإمبراطور المغولي محمد شاه، على مقربة من سوق داريبا في دلهي، وقد بناها الشيخ نواب شرف الدولة إرادة من خان، (Abdul Hai, 174).

عشرون: مدرسة نواب شرف الدولة

بنيت في دلهي في القرن الثامن عشر، في موقع حديقة الزهور في دلهي، ويرجح أن نواب شرف الدولة هو الذي قام بتأسيسها وإنشائها (Bashiruddin. Tarikh Delhi, 1919, II, 212).

واحد وعشرون: مدرسة شاه حسين

بنى هذه المدرسة شاه حسين في بلبلي خانا (Bulbli Khana) في دلهي سنة 1148هـ/1735م، واشتهرت بتدريس العلوم الدينية (Bashiruddin, 212).

اثنان وعشرون: مدرسة نجيب الدولة خان

مدرسة في دلهي أنشأها نجيب الدولة خان (1119هـ-1184هـ/1707-1770م) وجعل من يقوم على التدريس فيها الشيخ ولي الله الدهلوي، لتصبح مركزا متقدما لنشر الدعوة الإسلامية، وترسيخ دعوة الإصلاح والتجديد التي تبناها ولي الله الدهلوي في الهند (Yasin, 153).

3-4 أما المساجد التي مارست عملية التعليم والتدريس فهي كثيرة جدا، وجميعها ساهمت في إذكاء حركة التعليم في دلهي، لا سيما تدريس العلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة، ولا نستطيع حصر تلك المساجد جميعها، لكننا نستشهد بأهمها وأنفعها من حيث وظائف التعليم.

أولا: موشي مسجد (Pearl Mosque)

أروع المساجد التي بنيت في دلهي، وأكثرها دقة وروعة هندسية، بناه الملك عالمكير الأول سنة 1070هـ/1659م، حيث كانت كلفة البناء تقدر بـ 160.000 روبية هندية في وقتها (Majumdar, 586, Fanshawe, 39).

ثانيا: مسجد قبة الإسلام

وهو أول مسجد يبنى في دلهي على يد السلطان قطب الدين آيبك وذلك سنة 1191م، ثم قام السلطان شمس الدين التتمش بتوسعة المسجد سنة (628هـ/1230م)، (Abdul Hai, 155).

ثالثا: المسجد الجامع

بني في دلهي أيام السلطان فيروزشاه الخلجي الأفغاني (الندوي، 156).

رابعا: المسجد الجامع

بناه الإمبراطور شاه جهان في دلهي. (الندوي، 160).

خامسا: مسجد فاتحبور

بني في دلهي سنة 1060هـ/1650م، قامت على بنائه الملكة نواب فاتحبور بيكم زوجة الإمبراطور شاهجهان (الندوي، 161).

سادسا: مسجد أكبر آبادي (Akbar Abady Mosque)

بنته الملكة أكبر أبادي بيكم المغولية، زوجة الإمبراطور شاهجهان وقد أزيل المسجد في أحداث سنة 1274هـ/1857م أثناء حرب الاستقلال ضد بريطانيا. (Fanshawe, 43).

سابعا: مسجد كالان (Kalan Masjid)

من أهم المساجد التي بنيت في فيروزآباد دلهي (Fanshawe, 64-65).

ثامنا: سنهاري مسجد (Sonhari Mosque)

بناه داود خان سنة 1165هـ/1751م في مدينة دلهي، بأمر من الملكة المغولية قدسية بيكم والدة الملك أحمد شاه (Fanshawe, 43).

5-3 وفي مجال الحديث عن المدارس، لا بد من التعرف على المكتبات التي كانت ولا زالت مركزا بارزا في مرافقها التعليمية، إذ قلما خلت مدرسة من مدارس دلهي في العصر الإسلامي من مكتبة تتبعها، مزودة بمجموعة صغيرة أو كبيرة من الكتب، تبعا لمكانة المدرسة ومقدار الوقف عليها واهتمام السلاطين والملوك بها من جهة، وتبعا لما يوقفه واقفها من كتب خاصة به لا سيما إن كان من العلماء والمهتمين بالتعليم، ونلاحظ من خلال دراستنا لتاريخ الإسلام

في الهند، أن المصدر الأساسي في توفير مادة التعليم هم العلماء وذلك من خلال استنساخ الكتب والمؤلفات وتعميمها على المدارس والمكتبات، كما كان لتوفير الورق دور هام في إشاعة الكتاب وتوزيعه على مدارس الهند كافة، ولذلك فقد تم توفير مادة الورق من خلال إنشاء مصانع لهذه الغاية، فكان مصنع في كالبي في الهند أيام سلطنة دلهي (M. Zaki, Organization, P.8) ومصنع آخر في إقليم كشمير الذي أنتج ورقا حسن الجودة (Badauni, III, 144)، كما انتشرت صناعة الورق في عهد دولة المغول في أنحاء متعددة من أقاليم الهند، كان أكبر تلك المصانع في مدينة سيالكوت (Jaffar, Education, 140).

أما المكتبات، فنوعان هما: العام والخاص، كمكتبة الشيخ نظام الدين، حيث فتحت أبوابها لعامة الناس، ومكتبة الشيخ أمين ومكتبة الشيخ السيد إبراهيم والشيخ عبد الوهاب وجميعهم عاصروا عهد السلطان اسكندر لودي الأفغاني (M. Zaki, P.9).

أما عهد أباطرة المغول المسلمين، فكان من أكثر العهود الإسلامية في الهند اهتماما بإنشاء المكتبات، وهذا ما أخذ عليهم شغفهم في جمع نوادر الكتب والمخطوطات العلمية والأدبية، وكثيرا ما كانوا يحصلون على الكتب بوساطة المؤلفين والعلماء كهبات ومنح وهدايا، بالإضافة إلى حرصهم على شراء الكتب مهما غلت قيمتها، وفي هذا المجال احتذى النبلاء والأمراء حذو ملوكهم وراحوا يصنعون لأنفسهم مكتبات خاصة (Smith, Akbar, 307)، وفي عهد الإمبراطور جلال الدين أكبر أنشأت مكتبة كبيرة في بلاطه، واعتبرت من المكتبات العالمية في زمانه، وقدر عدد الكتب فيها بحوالي 24.000 مجلد ضخم بشتى العلوم، وقدر المؤرخون قيمة ما تحويه هذه الدار من الكتب بحوالي سبعة ملايين من الروبيات الهندية (Chopra, Some Aspect, 166)، كما قام الملك همايون بجعل بيت الضيافة الذي بناه القائد الأفغاني شيرشاه، مكتبة كبيرة احتوت على العديد من المخطوطات النفيسة (Majumdar, 571). وكان للوزير أبو الفضل وشقيقه فيضي مكتبة خاصة، احتوت على ثروة علمية ضخمة من الكتب بلغت حوالي 4.600 كتاب في مختلف صنوف المعرفة (Baduni, III, 421).

وكان للوزير محمد جوان أحد وزراء الدولة المغولية في عهد الإمبراطور محمد شاه مكتبة، احتوت على ما يقارب 35.000 مجلد ضخم في شتى العلوم (Chopra, 170). أما عن المكتبات العامة، فمنتشرة هي الأخرى انتشارا واسعا في أنحاء الهند، لا سيما في مدينة دلهي، وإن كنا لا نستطيع حصرها وحصر المدارس التي توافرت بها، إلا أننا نستطيع - على الأقل - الوصول إلى أن معظم المساجد والمدارس احتوت على المكتبات، وساهمت جميعها في تغذية حركة التعليم في دلهي وغيرها من مدن الهند.

1-4 ثم نأتي للحديث عن مناهج التعليم ومقررات الدراسة التي شاعت في معظم مدارس دلهي وبقية المدن الهندية الأخرى، فعند معالجة المصادر التاريخية تبدو مناهج التعليم في مدينة دلهي وبقية المدن الأخرى في شبه القارة الهندية لا تختلف عن غيرها من المقررات في المدارس التي تنتشر في أرجاء العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه، والتعليم الديني أو ما يعرف بالدراسات الإسلامية شكلت أصل وأساس التعليم في معظم المدارس الخاصة والعامة،

وفي كافة العصور الإسلامية، وبرغم التماثل والتشابه في مناهج التعليم بين دلهي وغيرها من مدائن الإسلام، إلا أننا سنشير إليه وإلى اهتمامات الدولة الإسلامية في إنجاحه ونشره.

لقد تنوعت مصادر المعرفة في دلهي على وجه الخصوص وبقية مدائن الهند عموما، وكان لهذا التنوع الأثر الواضح على مسار الحركة التعليمية، إذ ساهم في تطورها وازدهارها، وأدى بالتالي إلى إثراء المعرفة في معظم مواقع التعليم، فدلهي منذ فتحها شهاب الدين الغوري وحتى عصور المغول المتأخرة، قد شاعت فيها أنماط من المقررات، أبرزها كما ذكرنا الأنماط الدينية، وأطلق على مناهج التعليم مسميات مختلفة، كمقررات الدرس، والكتب الدرسية، والدرسيات (نزهة الخواطر، 190/6، 248، 339)، ويبقى التلاميذ مدة سبع سنوات أو أكثر خاضعين لتعلم وقراءة الكتب الدرسية المقررة، سواء في المدرسة أو المعهد أو المسجد أو الخانقاة، ويسبق تلك المرحلة مرحلة مبكرة تصرف فيها أوقات التلاميذ في السنوات الأولى نحو تعلم اللغة العربية واللغة الفارسية، وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ثم بعد إكمالها وحفظها واجتيازها، يتقدمون لدراسة المناهج المقررة التي اعتمدت من قبل العلماء والأساتذة في المدارس العلمية (نزهة الخواطر، 100/6، 119).

2-4 تمثل حرص الدول الإسلامية في الهند على توفير المناهج والكتب العلمية، بدعم العلماء ورعايتهم وحفزهم نحو التأليف والتصنيف والترجمة، وصولا إلى توفير المادة العلمية وتعميم فوائدها على مدارس المسلمين في الهند، فالعلماء بذلوا جهودا كبيرة من أجل ذلك، ثم نجدهم حريصين أشد الحرص على جلب المؤلفات العلمية من أنحاء متعددة من العالم الإسلامي، ومن الأمثلة على ذلك، أن الشيخ يعقوب الكشميري، وهو أحد علماء دلهي في الفقه والنحو والصرف، زار بغداد والحجاز وعاد إلى الهند محملا بمئات الكتب النفيسة من الفقه والحديث والتفسير (نزهة، 438/5، 439). وكذلك الشيخ محمد أفضل السيالكوتي (ت 1146هـ/1733م) أحد علماء الحديث، كان يشتري الكتب من خارج الهند ويوقفها على طلبة العلم (نزهة، 281/6). أما الأساليب التي عرف بها علماء دلهي والهند، في توفير المادة العلمية، أنهم يقومون بنسخ الكتب المؤلفة في دمشق وبغداد والقاهرة، وغيرها إلى عشرات النسخ وتوزيعها على المدارس والمساجد ودور العلم، كما أنهم وضعوا شروحات على هذه النسخ تأتي على شكل ترجمة إلى الفارسية، وتفسير المعاني اللغوية، وتعليقات وحواشي، سواء باللغة العربية أو اللغة الفارسية، تيسيرا للتلاميذ في تحصيلهم العلمي. وقد شاعت هذه الطريقة حتى أصبحت مدرسة تعليمية في أنحاء الهند، وقد برز علماء متخصصون في هذه الأساليب، منهم: الشيخ الفقيه أبو الفتح الحنفي الكشميري (نزهة، 16/6)، والشيخ نور الحق بن عبد الحق الدهلوي، الذي وضع شرحا على شمائل الترمذي بالفارسي (نزهة، 424/5، 425).

3-4 وعندما نتحدث عن الكتب المنهجية والتي ألفت في الهند، فنقف أمام حشد هائل من المؤلفات العلمية بمختلف ميادينها، الأمر الذي يعكس حالة التطور العلمي والازدهار المعرفي للمدارس في دلهي وبقية مدن شبه القارة الهندية الأخرى، فالتراث الإسلامي الهندي غني وثري بكثرة مؤلفاته وتنوع علومه ولغاته، ففي الوقت الذي نجد فيه معظم التفاسير القرآنية

باللغة العربية، نجدها مترجمة إلى اللغة الفارسية والأردية، وتعمم هذه الحالة على بقية العلوم، حيث يكشف لنا العلامة الهندي المسلم الشهير عبد الحي الحسني الندوي في مؤلفه الثقافة الإسلامية في الهند، عن عشرات المئات من المؤلفات الإسلامية التي دونت في عهد الدولة الإسلامية، وبلغات مختلفة كان أشهرها اللغتين: العربية والفارسية. ولقد قام العلامة الندوي بجهد علمي عظيم حينما حصر المؤلفات الإسلامية في الهند في هذا الكتاب الموسوعي، والذي يعد بحق من المؤلفات الفريدة في هذا المضمار.

أما نظام التعليم، فسبق أن أشرنا إلى أنه موحد في أغلب مدارس دلهي وعبر سائر العصور الإسلامية، إلا أن ثمة تفاوت بنسبة الاهتمام بالعلوم الدينية بين حكم سلطنة دلهي وبعض عصور دولة المغول التي غلبت التدريس الطبيعي والفكري على مناهج دلهي التعليمية، وهذا النوع من التعليم لم يلغ التدريس الديني، بل ظلت المقررات الدينية موجودة لا سيما في المراحل الأولى الأساسية.

4-4 ونشير هنا إلى المقررات التعليمية التي اعتمدها المدرسون والعلماء في دلهي عبر عصر سلطنة دلهي وعصر المغول، ففيما يتعلق بعلوم اللغة العربية وآدابها نجد المقررات التالية: المصباح، الكافية، ولب الألباب للقاضي ناصر الدين البيضاوي، والإرشاد للقاضي شهاب الدين الدولة أبادي كما توجد له حواش على الكافية (الثقافة الإسلامية، 11). أما الفقه، فكتاب الهداية للمرغيناني (عبد الحي، 15) وشرحت الهداية وترجمت وغدت تلك الترجمات والشروحات مقررات دراسية، وقد شرحها الشيخ حميد الدين مخلص الدهلوي وشرحها الشيخ خداداد الدهلوي، وشرحها الشيخ محمد نعيم الجونيوري (عبد الحي، 105) واعتمد مجمع البحرين والقدوري (عبد الحي، 11) وفي أصول الفقه، كتاب الحسامي وشروحاته، كشرح الحسامي للشيخ معين الدين العمراني الدهلوي (عبد الحي، 124) وإفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار للشيخ سعد الدين محمود الدهلوي (عبد الحي، 124)، أما التفسير، فتفسير البيضاوي والكشاف والجلالين (عبد الحي، 16) وفي الحديث، مشكاة المصابيح، ومشابه الأنوار للصغاني، ومصابيح السنة للبغوي، (عبد الحي، 11، 16) وفي الأدب، مقامات الحريري (عبد الحي، 11، 12) وفي المنطق، شرح الشمسية للقطب الرازي، وحاشية السيد الشريف الجرجاني، ومسلم العلوم لمحب الله البهاري (نزهة، 250،190/6) أما التصوف، فكتاب فصوص الحكم والفتوحات المكية لابن عربي، واللمعات للعراقي (Badauni, III, 16, 46, 54) وفي المنطق، تهذيب المنطق وشرح المقاصد وشرح المواقف للتفتازاني (نزهة، 295/6، 298) وفي الحكمة، شرح الهداية للشيرازي، وشرح هداية الحكمة للشيخ محمد رشيد بن مصطفى العثماني الجونيوري (نزهة، 277/6) وبرهان الحكمة باللغة الفارسية للشيخ محمد غوث بن ناصر الدين المدراسي (عبد الحي، 266). أما العلوم الرياضية، فكتاب، في الجبر والمقابلة لذكاء الله الدهلوي، وكفاية الجبر لميرزا صلاح الدين الدهلوي (عبد الحي، 276، نزهة 117/6).

5-4 ثم طرأ تطور في العملية التعليمية ومقررات الدراسة في عهد إمبراطورية المغول المسلمين، لا سيما في عهد الملك جلال الدين محمد أكبر، الذي ساهم بشكل مباشر في

وضع أسس تعليمية جديدة في المدارس، وقام بإلزامهم بذلك، لا سيما في مدارس دلهي الكبيرة، وقد جاءت تلك المقررات لتدلل على التطور النوعي في حقل التعليم والابتكار العلمي، ونقتبس ما رواه المؤرخ الشهير أبو الفضل الناكوري وزير الملك أكبر بهذا الاتجاه: علم الأخلاق (Ethics)، علم الحساب (arithmetic) العلوم المنزلية (Domestic Sciences)، العلوم المدنية والسياسية (civic and politics) الاعداد (Accounting)، الزراعة (Agriculture) علوم القياس (Mensuration)، الهندسة (Engineering)، الفلك (Astronomy)، الطب (Medicine)، المنطق (Logic)، الرياضيات (Mathematics)، التاريخ (History)، العلوم الميكانيكية والفيزيائية (Physical and Mechanical Sciences)، علوم اللاهوت (Theology) (Ain-i-Akbari, II, 25) وأدخلت علوم النحت والرسم والنقش والعمارة كمقررات تعليمية في بعض المدارس الخاصة بتعليم هذا النوع من الفنون التي ازدهرت وتطورت في عصر الإمبراطور جهانكير بن أكبر، وبلغت ذروتها من الازدهار في عهد شاهجهان إمبراطور دلهي (Qureshi, administration of mughal, 220)، وفي عصره كانت مقررات التعليم في الموضوعات التالية: الآداب واللغة والشعر الفارسي، وبرع بذلك شاعر الملك، أبو طالب كليم، والنثر (Prose)، واشتهر به جلال الدين تبتبائي، والطب، ووقف على تعليمه وتدريسه طبيب البلاط الملكي، حكيم عليم الدين، وعلم الفلك (Astronomy)، درسه مولانا فريد المنجم، والرياضيات، درسها يعقوب اللاهوري، وعلم اللاهوت، والأدب الهندي، والعمارة والهندسة، والتصميم، والزخرفة والخط (calligraphy)، والموسيقى (Saksena. 258, 259, 266, 267, 268).

1-5 اشتهرت الهند الإسلامية بعشرات المئات بل الألوف من العلماء والمدرسين الذين انتشروا في أنحاء متعددة من مدن الهند، كما زخرت مدينة دلهي بالكثير من هؤلاء الأساتذة والعلماء الذين كان لهم الفضل في تنشيط الحركة العلمية وتطورها، على أن هؤلاء المدرسين كانوا ينتسبون إلى جنسيات مختلفة، فمنهم: الهندي، والإيراني والأفغاني والتركي الذي جاء من بلاد ما وراء النهر، والعربي والكردي، وبسبب هذا التنوع دفعت حركة التأليف والازدهار العلمي إلى التطور، ونجد من ضروريات هذه الدراسة تسمية بعض مشاهير العلماء والمدرسين الذين كان لهم حضور محمود في التدريس والتعليم في دلهي.

الشيخ أبو بكر بن يوسف السجزي، أحد العلماء الذين عملوا على تدريس علوم الفقه وأصول الفقه واللغة العربية، درس بدلهي مدة طويلة في عهد السلطان غياث الدين بلبن (نزهة، 121/1)، والقاضي رفيع الدين الكاذروني، مدرس مشهور، ويعتبر من كبار العلماء والأساتذة بدلهي، وذلك في عهد السلطان غياث الدين بلبن (نزهة الخواطر، 155/1)، والشيخ اسحق بن علي البخاري درس الفقه وأصول الفقه في المدرسة المعزية بدلهي (نزهة، 124/1-125)، ومولانا برهان الدين البزار الدهلوي، فقيه كبير، درس بدلهي في عصر بلبن (نزهة، 128/1). ومولانا برهان الدين النسفي، درس الفقه وأصوله واللغة العربية بدار الملك بدلهي، وأخذ عنه خلق كثير من المشايخ والعلماء (نزهة، 128/1-129)، والحكيم الطبيب حسام الدين الماريكلي، درس الطب في دلهي في عهد غياث الدين بلبن (نزهة، 144/1)، ومولانا ركن الدين السامانوي، درس الفقه وأصول الفقه مدة طويلة بدار الملك بدلهي، في

عهد السلطان بلبن (نزهة، 155/1)، ومولانا سديد الدين الدهلوي، درس اللغة العربية والفقه وأصوله أيام بلبن (نزهة، 161/1). ومولانا شرف الدين الدهلوي، أحد كبار الأساتذة والمدرسين بدلهي في عهد بلبن (نزهة، 163/1)، ومولانا شمس الدين الخوارزمي، أحد الأساتذة الكبار ومن الذين قاموا على تدريس اللغة العربية بمدارس دلهي (نزهة، 166/1)، والعلامة الجوزجاني (ت 658هـ/1260م) تولى التدريس بالمدرسة الناصرية بدلهي وذلك بأمر من السلطانة رضية بنت التتمش (نزهة، 175/1)، والشيخ منهاج الدين علي بن اسحق البخاري، تولى شؤون التدريس في المدرسة المعزّية بدلهي (نزهة، 182/1)، والشيخ مظفر بن الشمس البلخي، تولى مشيخة التدريس بالمدرسة الفيروزية بدلهي (نزهة، 169/3)، والشيخ أبو الفتح بن عبد الحي الجونيوري (ت 858هـ/1454م)، درّس بدلهي الفقه وأصوله والكلام واللغة العربية (جـ3، 3)، والشيخ أحمد بن محمد التهانيسري (ت 820هـ/1417م)، درّس العلوم العربية والفقه وأصول الفقه (نزهة، 928/3، 10)، والعلامة الشيخ فخر الدين الدهلوي (ت 1199هـ/1707م)، درّس الحديث وتفسير الحديث، كان يعلمه باللغتين العربية والفارسية (نزهة، 218/6، 219)، والشيخ محمد عطيف البدايوني (ت 1140هـ/1727م)، درّس علوم الحديث بمدرسة نواب روشن الدولة بدلهي (نزهة، 332/6)، والشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت 1176هـ/1762م)، من كبار علماء الهند، درّس وأفاد كثيراً في دلهي، في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفارسية ولقب بشيخ الإسلام (نزهة، 398/6، 415)، والإمام جلال الدين الرومي، درّس الفقه والتفسير والحديث وتولى التدريس بالمدرسة الفيروزية بدلهي في عهد السلطان فيروزشاه الخلجي الأفغاني (نزهة، 20/3)، والشيخ نور الحق بن عبد الحق الدهلوي (ت 1073هـ/1662م)، درّس بدلهي الفقه والحديث، واشتهر بتدريسه صحيح البخاري وشمائل الترمذي بالفارسية (نزهة، 424/5، 425)، والشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (ت 1034هـ/1624م)، شيخ الإسلام، اشتغل بالتدريس في مدينة دلهي، ودرّس: الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام والتفسير والحديث والتصوف وجعل من كتاب الهداية والبزدوي وشرح المواقف والبيضاوي والمشكاة والبخاري مقررات للتدريس، عاصر الملك جهانكير والملك شاهجهان، مات ودفن في مدرسة سرهند (نزهة، 5/41-53)، والشيخ أبو الفضل بن المبارك الناكوري (ت 1011هـ/1602م)، درّس بدلهي العلوم العربية والعلوم الحكمية، وكان وزيراً لدى بلاط الملك المغولي جلال الدين أكبر (نزهة، 24/5، 26)، والشيخ أبو الفيض بن المبارك الناكوري (ت 1004هـ/1595م)، درّس بدلهي اللغة العربية والتاريخ واللغز والإنشاء والطب أيام الإمبراطور جلال الدين أكبر (نزهة، 5/26-31)، والشيخ قطب الدين بن عبد العزيز بن الطاهر الجونيوري الدهلوي (ت 1023هـ/1614م)، درّس بمدينة دلهي سنوات طويلة، وأخذت عنه جماعات كبيرة من العلماء والمشايخ علوم الفقه وأصوله وأصول الدين واللغة العربية (نزهة، 311/5)، والشيخ فريد الدين بن إبراهيم الدهلوي (ت 1039هـ/1629م)، أحد الأساتذة الكبار في مدينة دلهي، درّس علوم الهندسة والهيئة والنجوم والأعداد والفنون العربية، وكان ماهراً بصناعة الأزياج الفلكية (نزهة، 306/5)، والشيخ علي بن الحسين النقشي الدهلوي (ت 1019هـ/1610م)، أحد كبار الأساتذة في صناعة فن النقش والعلوم الحكمية والهيئة والإنشاء والشعر، درّس بدلهي أيام الإمبراطور جهانكير (نزهة، 283/5)، والشيخ عبد الله بن عبد الباقي النقشبندي الكابلي ثم الدهلوي (ت

1074هـ/1663م)، أحد المبرزين في المعارف الإلهية، درس وأفاد بمدارس دلهي (نزهة، 255/5)، والشيخ عبد القادر البدايوني (ت1004هـ/1595م)، المؤرخ الكبير، درس بدلهي أيام الملك أكبر علوم التاريخ والإنشاء والشعر والفنون الحكمية (نزهة، 237/5-238)، والشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي، درس بدلهي علوم الحديث واللغة العربية، ودرس أيضا علوم الترجمة وطرائقها من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية وتوفي سنة 1052هـ/1642م، (نزهة، 201/5-203). والشيخ عبد الباقي النقشبندي الدهلوي، درس بدلهي علوم التصوف والألهيات (ت 1014هـ/1605م)، (نزهة، 196/5-200)، والشيخ طيب بن إبراهيم الدهلوي المهندس، درّس بدلهي علوم الهيئة والهندسة والنجوم وغيرها من الفنون الرياضية (نزهة، 189/5)، والشيخ مولانا شاكر محمد الدهلوي (ت 1063هـ/1652م)، تصدر للتدريس وانتهت إليه رئاسة العلم والتدريس بمدينة دلهي، وكان معظماً عند الإمبراطور المغولي شاهجهان (نزهة، 162/5)، والشيخ حسام الدين الدهلوي كان مفتياً ومدرساً بدار الملك بدلهي وذلك في عهد الإمبراطور شاهجهان، وتوفي سنة 1043هـ/1633م، (نزهة، 128/5-129)، والشيخ بهلول بن الكبير القادري الدهلوي (ت1007هـ/1598م)، درّس بدلهي مدة طويلة، علوم الفقه وأصوله والحديث وعلومه والتفسير (نزهة، 94/5).

5-2 أما الإجازات العلمية الذي تميزت به مدارس التعليم في دلهي فتكاد تكون نظاماً قليل الشبه بما كانت عليه المدارس الإسلامية الأخرى خارج نطاق الهند، فبعدما يمر الطالب بالمراحل التعليمية المقررة، ويجتاز المقررات التعليمية المعروفة بـ "الدرسيات" سواء في مدارس المدينة أو مساجدها، فإنهم في الغالب يخضعون تالياً إلى قراءة العديد من الكتب على مشايخ وأساتذة عصرهم (نزهة الخواطر، 131/3، 100/6، 83/2)، وإذا ما ثبت لدى المدرسين كفاءة الطالب ومقدرته على الحفظ والمعرفة فإنه يُجاز ويتأهل للتعليم، وتكون الإجازة على ضروب مختلفة، وذلك حسب التخصص، كالإجازة في الحديث والفقه واللغة العربية، والدعوة والإرشاد، والإجازة أيضاً في بعض المعارف والعلوم الطبيعية، ثم ينتقل الطالب إلى مرحلة متقدمة ليُصار إما مُعيداً أو مدرساً أو إماماً وواعظاً ومرشداً. وبعد ذلك يتوزع هؤلاء على وظائف متعددة وفقاً للمؤهلات العلمية والإجازة، فمنهم يذهب إلى التدريس ومنهم إلى الإفتاء أو القضاء، لينخرطوا في تطوير شؤون الحياة العامة، لا سيما الحياة العلمية والثقافية.

ومن الملاحظ، أن مدارس دلهي، وبقية المدارس الهندية، كانت -على الأغلب- لا تعترف بالمجازين من طلبة العلم، إلا بعدما ينضوون في إحدى الطرق الصوفية التي تعتقد بها المدرسة أو المسجد أو الخانقاة، وتعتبر أخر حلقات المعرفة التي يخضع إليها معظم التلاميذ، الأمر الذي يشير إلى نفوذ وسيطرة الطرق الصوفية على معظم مدارس التعليم في الهند، في حين كانت هناك طرق صوفية متعددة: كالطريقة القادرية، والطريقة الجشتية، والطريقة النقشبندية، والطريقة السهروردية، والطريقة الكبروية، والطريقة المدارية، والطريقة القلندرية، والطريقة الشطارية، والطريقة العيدروسية (الثقافة الإسلامية في الهند، 179-186)[3].

وكان كثير من العلماء بعد تحصيل الإجازة من المدرسة والشيخ وأخذهم للطريقة الصوفية، يسافرون إلى مكة والمدينة لتأدية الفرائض والاجتماع بالعلماء هناك، ومن ثم يسافرون إلى المراكز العلمية الهامة في العالم الإسلامي: كالقاهرة وبغداد ودمشق ونيسابور وغيرها. وذلك للاطلاع على المعارف الجديدة والاستزادة منها والعودة إلى الهند، ويدفعهم هذا إلى تطوير مناهج التعليم والمقررات المدرسية في دلهي وبقية المدن الهندية الأخرى.

3-5 كانت المدارس التعليمية التي أنشأها المسلمون في دلهي تخضع لحالتين من التمويل المالي، فأحيانا تتولى الحكومات عملية الإنفاق، وغالبا ما تكون مصادر التمويل خاصة، إما عن طريق الأغنياء والعلماء أو الأهالي الموسرين، فكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة أو مكتبة كانت الدولة تعين لها أوقافا تقوم بها وبساكنها والملتزمين بها، بالإضافة إلى الأوقاف والتي شكلت المصدر الأهم في ميزانية المدارس التعليمية، هناك الأموال التي تقدمها خزينة الدولة كرواتب للمدرسين ونفقات لطلبة العلم (Qureshi, 177) وقد أدى نظام الوقف التعليمي في أغلب الأحيان إلى استقلالية التعليم، ولم يظهر من خلال الوثائق والمصادر إلى ما يدل على نفوذ السلاطين القانوني على العلماء، فقد تمتعوا باستقلال عن السلطة التنفيذية، إلا ان مهمة الإشراف على المدارس والمساجد والخانقاه كانت من مهمة المحتسب الذي كان يتدخل في شؤون التعليم وحياة العلماء من أجل حمايتها ومساعدتها (Qureshi, 177). أضف إلى ذلك أن رعاية التعليم ومؤسساته في مدينة دلهي خضعت إلى إشراف ما يعرف بصدر الصدور الذي كان يعين من قبل السلاطين، ومهمته متابعة المدارس والمعاهد والمساجد والعمل على تطويرها وتقويمها، وصدر الصدور لم يكن يتمتع بنفوذ قوي على قطاع الشعراء والموسيقيين، وإذا ما كان أمثال هؤلاء في البلاط السلطاني، فإنهم يخضعون لإدارة القصر الملكي بشكل مباشر. أما المتصوفة والنساك والعباد فكانوا تحت إشراف ورعاية "شيخ الإسلام" أو ما يعرف بشيخ الشيوخ، وإن كان شيخ الإسلام في العديد من الدول الإسلامية مسؤولا عن المهام المتصلة بشؤون الأقسام الدينية، إلا أنه في سلطنة دلهي لم يكن يتمتع بمثل تلك المزايا (Ferishta, 1, 212).

4-5 وخلاصة الأمر، أن مدينة دلهي تعتبر من المدن التي أصبحت مشعلا من مشاعل المعرفة والثقافة العربية الإسلامية في فترة الحكم الإسلامي لشبه القارة الهندية، وأن الجهد الذي بذله الفاتحون المسلمون من استعدادات حربية وتضحيات كبيرة حقق مكاسب حضارية عظيمة حينما أدخلوا دلهي في حظيرة ومنظومة العالم الإسلامي، وعليه، فإننا نخلص بعدما تعرفنا على طبيعة التعليم واهتمامات السلاطين المسلمين بمدينة دلهي، إلى الاستنتاجات التالية:

أولا: حافظت مدينة دلهي بحكم موقعها الاستراتيجي الهام في قلب شبه القارة الهندية على نفوذها السياسي والثقافي في المنطقة، ومن خلالها تطورت العلوم وانتشرت المعارف الإسلامية والعربية في معظم أقاليم جنوب آسيا، وقد نجحت المدينة بعد مرحلة التأسيس الإسلامية أن تقوم بمثل هذه الوظيفة.

ثانيا: رعاية الحكومات الإسلامية لمدينة دلهي من حيث الاهتمام بمنشآتها ومدارسها ومساجدها وقلاعها، عكست حالة الرقي والتطور لدى معظم الأسر الإسلامية التي

تعاقبت على حكم دلهي، بدءا بالأسرة الغورية الفاتحة وانتهاء بدولة المغول المسلمين، إذ بدا جليا دورهم الكبير في ترسيخ قواعد العلوم والمعرفة الإسلامية وغيرها في دلهي التي احتفظت بدورها السياسي المرموق فظلت عاصمة لمعظم دول الإسلام في الهند.

ثالثا: كان لبناء المؤسسات التعليمية بأنواعها، المدارس والمساجد والخانقاه والمكتبات، دور واضح في إرساء قواعد المعرفة العربية والإسلامية في مدينة دلهي، ورشحها ذلك لتتبوأ مكان الصدارة بين المدن الإسلامية الأخرى في المنطقة، لا سيما وأنها غدت نواة ومنبثق ازدهار الحركة التعليمية في جنوب آسيا، ومغذية لمعظم مدارس المدن الإسلامية الأخرى في الهند.

رابعا: بدت المدينة، ومن خلال هذه الدراسة، من المراكز العلمية الإسلامية في العالم الإسلامي، فلم تقف عند حدود الاهتمام بنشر التعليم والمعرفة الإسلامية في جنوب آسيا، بل أضحت مركزا منافسا لمراكز إسلامية أخرى معاصرة: كالقاهرة وبغداد ودمشق ونيسابور وغيرها.

خامسا: يعتبر الإنتاج العلمي الذي وضعه علماء دلهي في فترة الدراسة ثروة علمية وتراثية عظيمة، ساهمت في إثراء ثقافة الحضارة العربية الإسلامية، فثمة عشرات المئات من المؤلفات العلمية في حقول المعرفة: كالتفسير، والحديث، والأصول، والفقه، واللغة العربية، والتاريخ، واللغة الفارسية، والعلوم الطبيعية، ومما يؤسف له أن هذا التراث غائب تماما عن اهتمامات الباحثين العرب، فلا تكاد تذكر مآثر العلماء والمسلمين في الهند، فيما له صلة بتاريخ العلوم عند العرب.

سادسا: كشفت الدراسة عن جمهرة كبيرة من العلماء المبدعين والمبتكرين في حقول المعرفة، منهم: الهندي والعربي والإيراني والأفغاني والتركي والكردي وغير ذلك من أجناس، وبتفاعل معارفها المختلفة صنعت بل وصاغت حركة علمية نشطة في معظم أقاليم جنوب أسيا، والبست تلك الثقافة والمعرفة اللباس الإسلامي الذي أفرز تلاقح ثقافات متعددة ومتنوعة، عكست الصورة المثلى عن إنسانية الدولة الإسلامية وحضارتها، وقدرتها على استيعاب وصهر الآخرين في ثقافتها وقيمها.

سابعا: رأينا الارتباط الروحي والفكري لمدينة دلهي، ممثلة بكافة مؤسساتها التعليمية، ببقية مدن العالم الإسلامي، فنجد أن الصلات الثقافية بينها وبين غيرها من المدن الإسلامية صلات دائمة وعميقة وفاعلة، الأمر الذي جعلها تحتل مكانة مرموقة علميا ومعرفيا وحتى سياسيا بين المدن الإسلامية الأخرى، وأكثر ما يظهر عمق العلاقة التواصل المعرفي من خلال نشر وتوزيع المبتكرات العلمية من دلهي وإليها.

وأخيرا، يستدعي الازدهار والرقي العلمي لمدينة دلهي وبقية مدن شبه القارة الهندية إلى كثير من الاهتمام والعناية من قبل الباحثين والدارسين العرب، لما لذلك من فوائد عظيمة في حقل المعرفة العلمية، والمحافظة على جسور التواصل الروحي والثقافي بين أقطار العالم الإسلامي المترامي الأطراف.

الهوامش

* أستلم البحث في 1999/6/7 وقبل للنشر في 1999/12/14.

1- تقع مدينة دلهي ضمن خط عرض 28.38 شمالا، وخط طول 77.13 شرقا، وإن عدد سكان المدينة وفق تقديرات سنة 1319هـ/1901م كانت على النحو التالي:

1- المسلمون - 88.000

2- الهندوس - 114.000

3- النصارى - 2.000

4- آخرون - 4.000 المجموع / 208 آلاف (Fanshawe, 9).

2- تمت هزيمة هذا القائد والزعيم الهندوسي على يد السلطان الأفغاني شهاب الدين الغوري سنة 588هـ/1192م، والذي يعتبر بحق أول مؤسس للحكم الإسلامي في بلاد الهند، ومن أكثر الزعماء اهتماما ببناء مدينة دلهي، India During Muslim Rule, pp.22-28.

3- أوضح المؤرخ عبد الحي الحسني الندوي عن شيوخ وفروع هذه الطرق الصوفية التي كانت تنتشر في دلهي وبقية المدن الهندية الأخرى، ومن المفيد ان نشير إليها في هذه الدراسة لما لها من أهمية.

أ- الطريقة القادرية: شيخها عبد القادر الجيلاني.

ب- الطريقة الجشتية: شيخها معين الدين حسين السجزي، وهي من أكثر الطرق انتشارا في الهند، ولذلك تفرعت إلى فروع كثيرة، وانقسمت إلى قسمين: الأول: النظامية، وفروعها: الكيسودرانية، الحسامية، الصفدية، الفخرية، القسم الثاني: الطريقة الصابرية.

جـ- الطريقة النقشبندية: شيخها بهاء الدين محمد نقشبند البخاري، ولها فرعان:

1. الباقية، ولها أقسام: المجددية، الأحسنية، والزبيرية، والمظهرية،

2. العلائية.

د- الطريقة السهروردية: شيخها شهاب الدين عمر السهروردي.

هـ- الطريقة الكبروية: وشيخها نجم الدين أبي الجناب أحمد بن عمر الكبري، ولها شعبة أخرى تعرف بالطريقة الفردوسية.

و- الطريقة المدارية: وشيخها بديع الدين المدار المكنيوري.

ز- الطريقة القلندرية: وشيخها قطب الدين العمري الجونيوري.

س- الطريقة العيدروسية: وشيخها عفيف الدين عبد الله العيدروس الكبير.

(الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 179-186).

المصادر والمراجع

الندوي، عبد الحي الحسني **الثقافة الإسلامية في الهند**، معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1403هـ/1983م.

الندوي، عبد الحي الحسني **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، حيدرآباد الدكن الهند، 1931م.

ريخا، ميسرا، **المرأة في عصر المغول في الهند**، ترجمة أحمد الجوارنة، إربد، 1998.

Abdul Hai, S., *India During Muslim Rule*, tr. by Mohiuddin Ahmed, Lucknow (India, 1977).

Abu-l-fudal, *Ain-i-Akbari*, ed. Blochmann, Bib. Ind. Calcutta, 1867-77, English tr. by Blockmann and Jarret, Bi 6. Ind. Calcutta, 1894 and 1948.

Abu-l-fudal; *Akbarnama*, Calcutta, 1873-87. and tr. Into English by H. Beveridege, Calcutta, 1912.

Barani, Ziauddin; *Tarikh-i-Firozshahi*, ed. by Sir Syed Ahmed Khan, Calcutta, 1862, Tr. Into English by Rizvi, Aligarh, 1955.

Beni Prasad; *History of Jahangir*, Allahabad, 1973.

Bernier, F; *Travels in the Mughal Empire, AD. 1656-1668*, second edition revised by vincent A Smith, 1st. Indian ed. 1983, New Delhi.

Cambridge *History of India*, Vols. III, IV, Delhi, 1965.

Chopra, *Society and Culture in Mughal Ages*, Agra, 1955.

Elliot and Dowson, *History of India as Told by It's Own Historians*, Vol. III, IV, V, VI, VII, London, 1872-1877.

Ellphinstone, M.S; *The History of India*, London, 1843.

Fanshawe, H.C., *Shah Jahan's Delhi, Past and Present*, Delhi, 1979.

Ferishta, Mulla Muhammed Qasim Hindu Shah; *Tarikh-i-Ferishta*, Tr. by J. Briggs entitled, History of the Rise of Mohammadan Power in India till the Year A.D. 1612, London, 1829.

Jaffar, M., *Education in Muslim India*, Lahore, 1936.

Law. N. N., *Promotion of Learning in India during Muhammadan Rule*, London, 1916.

Muhammad Yasin, *A Social History of Islami India*, New Delhi, 1974.

Majumdar and others; *An Advanced History of India*, New Delhi, 1983.

Nijjar, B.S.; *punjab under the great mughals* (1526-1707), Lahore, 1979.

Qureshi, I. H, *The Administration of the Mughal Empire*, Karachi, 1966.

Qureshi, I. H, *The Administration of the Sultanat of Delhi*, Karachi, 1958.

Saksena, B.P; *History of Shah Jahan of Delhi*. Allahabad, India, 1973.

Sarkar, *History of Anrangzeb*, Karachi, 4vols. 1981.

Smith, *Akbar The Great Mughal*, second revised edition, Delhi, 1958.

Yusuf Husain, Educational System in Medieval India, *Islamic Culture*, Vol. XXX, 1956.

Zaki, M., *Organisation of Islamic Learning Under Sayids and Lodis*, pp. 1-10, an Article of Muslim in India, edited by, Irfan Habib and Nizami, Lahore.

صدر حديثاً عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة اليرموك:

- THE 'ATLAL-NASIB IN EARLY ARABIC POETRY: A STUDY OF THE DEVELOPMENT OF THE ELEGIAC GENRE IN CLASSICAL ARABIC POETRY
By: Ibrahim Musa Al-Sinjilawi
Edited By: Nasser Al-Hasan ʿAthamneh

- اللون في شعر ابن زيدون
يونس شنوان.

تحت الطبع:

1- علم الفلك، الطبعة الثانية
عبد السلام غيث.

2- التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وإمرة الحج.
سليمان خرابشه.

3- الحرف اليدوية التقليدية الأردنية: دراسة توثيقية.
خليل طبازة.

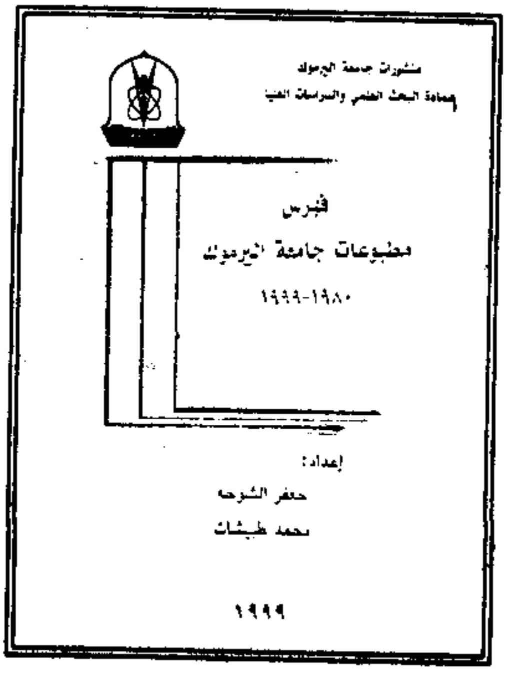
4- كمال البغية في أحاديث الحلية.
تحقيق: مخيمر صالح.

5- النظرية في المنظمات: إطار سوسيولوجي.
تأليف: ديفيد سلفرمان، ترجمة: عادل رشيد

لمزيد من المعلومات يمكن الاتصال مع عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

للحصول **مجاناً** على نسخة من:

"فهرس مطبوعات جامعة اليرموك 1980-1999"


منشورات جامعة اليرموك
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

فهرس
مطبوعات جامعة اليرموك
١٩٨٠-١٩٩٩

إعداد:
جعفر الشوحه
محمد طيشات

١٩٩٩